في دار الأرقم

وكانَ المسلمونَ يلتقونَ النبيَّ ﷺ سرّاً، ولكنْ لَمَّا كَثُرَ العددُ اختارَ لهُم رسولُ الله ﷺ دارَ الأرقم مقرّاً، وفي هذه الدار كان يجتمعُ رسولُ الله ﷺ بالجماعة المسلمة الأولَى، وكانتْ هذه الدارُ بمكةَ علَى جبل الصفَا، وفيهَا أسلمَ عددٌ كبيرٌ.

وكانَ رسولُ الله ﷺ يعلِّمُهُم أمورَ دينِهم، ويقرئهُم القرآنَ الكريمَ.

وقد مكَثُوا في دار الأرقم حتَّى تكامَلُوا أربعين رجلاً منْ المسلمينَ السابقينَ المخلصينَ، وكانَ آخرَهم إسلامًا عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ.

وفي دار الأرقم هذه كانَ يجتمعُ هؤلاء السابقونَ برسول الله ﷺ والإسلامُ مَا يزالُ بعدُ في أول عهده، أيْ في مرحَلته السرِّية، ولذلكَ مَا إنْ ترامَى الخبرُ إلى سَمْع كفار قريش حتَّى سعَوْا جاهدينَ في محاولة للقضاء عليه.

وكانَ عمرُ بنُ الخطاب - قبلَ أنْ يدخلَ في الإسلامِ - قدْ فكَّر

وقَدّر، وسَعى لقتل رسول الله ﷺ ليريحَ قريشًا منهُ، بعدَ أنْ سبَّ الآلهةَ، وفرَّق الناسَ.

ولَمَّا ذهبَ إلى هذه الوجهة الخاسرة الضالَّة لَقيَهُ في الطريق نعيمُ بنُ عبدِ الله، فلمَّا أخبرَ بما ينوي فعلَه، قالَ لهُ نعيمٌ:

- يَا عمرُ، أترى بني عبد مناف تاركيكَ تمشي علَى الأرض وقدْ قتلتَ محمدًا؟ أفَلا ترجعُ إلى أهلِ بيتِكَ وتقيمُ أمرهم؟

وكانتْ أختُ عمرَ فاطمةُ وزوجُها سعيدُ بن زيد قد أسلمَا، فقفلَ عمرُ راجعًا إليهما، ودخلَ عليهما، وكانَ عندَهُمَا خبَّابُ بنُ الأرتِّ ومعَهُ صحيفةٌ فيهَا سورةُ طه يقرئهُمَا إيَّاها فلما سمعُوا صوتَ عمَر تغيَّب خبّابٌ، وأخذتْ فاطمةُ الصحيفةَ، وكانَ عمرُ قد سَمعَ عندمَا اقتربَ من البيتِ قراءةَ خبّابٌ عليهِمَا، فلمَّا دخلَ قالَ: ما هذه الهَيْنَمةُ[1] التي سمعتُ؟

فقالا لهُ:

(١) الصوت الخفيّ.

- ما سمعتَ شيئاً.

قالَ:

- بلَى، والله لقدْ أخبرتُ أنكمَا تابعتُمَا محمداً على دينه.

وضربَ عمرُ زوجَ أخته سعيدَ بنَ زيد، فقامتْ إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخطاب لتكُفَّه عنْ زوجهَا فضربَها هيَ الأخْرَى.

فلمَّا فعلَ ذلكَ قالتْ لهُ أختُه:

- نعمْ قدْ أسلمنَا، وآمنَّا بالله ورسوله، فاصنعْ ما بَدا لكَ. فلمَّا رَأى عمرُ مَا بأخته من الدمِ ندمَ علَى ما صنعَ، وقالَ لأخته:

- أعطيني هذه الصحيفةَ التي سمعتُكم تقرأونَ آنفًا، أنظر مَا هذَا الذي جاءَ به محمدٌ.

فقالتْ أختُه:

- إنا نخشاكَ عليهَا..

فقالَ:

- لا تخافِي.

وحلفَ لهَا بآلهته لَيَرُدَّنَّها إذَا قرأهَا إليهَا، فلمَّا قالَ ذلكَ طمِعَتْ في إسلامه، فقالتْ لهُ:

- يا أخي إنكَ نَجِسٌ علَى شركِكَ، وإنَّه لا يمسُّها إلا الطاهرُ.

فقامَ عمرُ فاغتسلَ؛ فأعطَتْهُ الصحيفةَ وفيهَا سورةُ طه فقرأهَا:

﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾

فلمَّا وصل إلى قوله تعالى:

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[1] .. قال:

- ما أطيبَ هذَا الكلامَ وأحسنَه.

فلمَّا سمعَ ذلكَ خبّابٌ خرَجَ إليه وقالَ لهُ:

- يا عمرُ والله إنِّي لأرجُو أنْ يكونَ اللهُ قدْ خصَّكَ بدعوة نبيِّه؛ فإنِّي سمعتُه ﷺ أمسِ وهوَ يقولُ: «اللهمَّ أيِّد الإسلامَ بأبي الحكمِ ابنِ هشامٍ، أو بعمرَ بنِ الخطابِ».. فاللهَ اللهَ يا عمرُ.

فقالَ عمرُ: فدُلَّني يا خبابُ على محمد حتى آتيَه فأسلِمَ.

---

(١) سورة طه (١ - ١٥).

فقالَ لهُ خبابٌ:

- هوَ في بيتٍ عندَ الصَّفَا ومعَهُ نفرٌ من أصحابه.

فأخذَ عمرُ سيفَه فتوشَّحَه [1] ثمَّ ذهبَ إلَى هناكَ، فضربَ عليهمُ البابَ، فلمَّا سمعُوا صوتَه، قامَ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظرَ منْ خلال الباب فرآهُ متوشِّحًا السيفَ، فرجعَ إلى رسول الله ﷺ وهوَ فزِعٌ فقالَ:

- يا رسولَ الله هذَا عمرُ بنُ الخطابِ متوشِّحًا السيفَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ:

- ائذنْ لهُ.

ودخلَ عمرُ بنُ الخطاب، وقامَ إليه رسولُ الله ﷺ حتَّى لَقيهُ في الحجرة، فأخَذَ حُجْزَتَهُ - وهوَ موضعُ شدِّ الإزارِ - ثم جَبَذَهْ به جبذةً شديدةً وقالَ:

- ماجاءَ بكَ يا ابنَ الخطابِ، فوالله ما أرَى أن تنتهيَ حتَّى تنزلَ بكَ

(١) أي حمله.

قارعةٌ[1].

فقالَ عمرُ:

- يا رسولَ الله جئتُك لأومنَ بالله وبرسوله وبمَا جاءَ منْ عند الله.

فكبَّر رسولُ الله تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيتِ من أصحابِ النبيِّ أنَّ عمرَ دخلَ في الإسلامِ.

* * *

وبدخول عمرَ في الإسلام تَمَّتْ نهايةُ المرحلة السّرية للدعوة، فلمْ يرضَ عن اختفاء المسلمينَ في صلاتهم، وإنَّما راحَ عمرُ يناضلُ قريشًا حتَّى صلَّى عندَ الكعبة وصلَّى المسلمونَ معهُ.

وهكذا نرَى كيفَ شقَّت الدعوةُ طريقهَا بينَ غيوم الشِّرك الكثيفة في جوٍّ ملبَّد خَانق، فشاءَ اللهُ تعالَى للفجرِ أن ينبثقَ، ولشمس الهدَى أن ترسلَ أشعَّتها إلى كلِّ الأرجاء.. فإذا بالصفوة المختارة قد سبقتْ إلَى الإسلام، وحملتْ أشعَّةَ الخير تهدي الحيارَى، وتنافحُ عن الإسلام في كلِّ زمان ومكان.

---

(١) أي داهية أو مصيبة.